مفارقات الشارع

للكاتب الأمريكي دوز باسوس

بقلم الكاتب الأديب محمد محمود دوارة

خسر (مريوذر بوك) كل ماله كما أضاع ما كانت تملكه شقيقاته وبنات عمه وخالاته ... وفي ساعة من ساعات الضيق واليأس قال محدثاً نفسه :

— سوف أضع حداً لتلك المهزلة بطلق ناري واحد أصوبه نحو قلبي ... ولن يتأخر تنفيذ ذلك عن الساعة الثانية بحال من الأحوال ... الساعة الثانية تماماً ...

وتلمس مسدساً آلياً ذا عشر طلقات كان موضوعاً بعناية في الجيب الأيمن لمعطفه الثقيل ، ثم خرج يتسكع في طرقات برودواي

كان يسير في خطى متعثرة بطيئة تخطى المخمور . ولا غرو فإنه لم يتناول طعاماً منذ يومين كاملين لا لسبب إلا أنه لم يجد ما يأكل

ألقى نظرة على شوارع المدينة الترامية الأطراف وتمتم مخاطباً إياها ، وكأنه يتمثلها أحد أبناء البشر يسمع ويعي ما يوجه إليه من حديث :

— كم أكرهك أيتها المدينة الملعونة ! وكم كنت أتمنى أن تكفي تسع رصاصات للقضاء عليك وتدميرك ... آه لو كانت تكفي تلك الرصاصات التسع لخرابك ! إذن لما تردّدتُ لحظة واحدة في إطلاقها عليك متتابعة كالسيل الجارف أو المطر الهاطل ...

كان هذا أسلوباً عنيفاً غير لائق من أساليب التفكير والتعبير وخاصة إذا علم أن مصدره كان شاباً في مقتبل العمر تلقى قسطاً وافراً من التعليم والتهذيب ، ولكن المسكين كان فاقداً لكل شعور ، مجرداً من كل وعي

أما المدينة وكيف تلقت كلماته الثائرة النارية فلا حاجة بنا إلى القول بأنها لم تعر ذلك التفاتاً ، كما لا حاجة بنا إلى القول بأنها استمرت في حركتها ولغطها وضوضائها وجلبتها كما كانت قبل أن تتحرك في جوها تلك الموجات الصوتية الضعيفة الحائرة التي انطلقت من فم مريوذ ربوك

ولو كانت المدن كالبشر تشعر بما يدور حولها لكان شعور هذه المدينة في تلك اللحظة شعور السخرية من المجنون الذي يريد تدميرها والقضاء عليها برصاصات تسع تخرج من فوهة حديدة صغيرة موضوعة في جيب معطفه ...

والذين جربوا اليأس والبأساء من الناس كثيراً ما شعروا بخيبة الأمل عند ما كابدوا الشعور الذي كان مريوذر بوك يكابده في هذه الآونة

يمتلىء قلب الواحد منهم غيظاً وحنقاً على المدينة التي يعيش فيها والتي يعتقد في قرارة نفسه أنها سبب شقوته وبلائه ويتمنى أن يسمع المدينة رأيه فيها ولكنها لا تشعر به ولا تحس بما يتأجج في صدره من نيران

وفي اعتقادي أن الثائر على مدينة من المدن لن يستطيع أن يشفي غليله منها كما يحب ويهوى إلا إذا حدث بصدفة غريبة أن كان هو نيرون بعينه

* * *

الساعة الآن الواحدة ...

اخترق مريوذربوك أحد شوارع ميدان هيرالد متجها نحو عمارة كبيره هى إدارة إحدى الصحف اليومية الكبرى ، فما كاد يقف هناك لحظة حتى خرج من العمارة شاب تبدو على وجهه وحركاته إمارات الجد والتفكير، غير أن عينيه كانتا تفتقران كثيراً إلى بريق الذكاء فى نظراتهما

وقف الشاب على عتبة الدار واضعا كلتا يديه فى جيبي سترته الثمينة واستسلم للتفكير غير ناظر إلى ما حوله؛ فانتهز مريوذربوك هذه الفرصة واقترب منه ثم وجه إليه الحديث قائلا :

— أسألك المعذرة ياسيدى . ألست مخبراً من مخبرى الجريدة ؟

فهز الشاب رأسه ولم يصدر عنه إلا صوت عميق كصوت الخنزير قائلا :

— نعم ...

— إذن فإنى متحفك بقصة نادرة

صمت المخبر ، ولكن مريوذربوك استمر فى حديثه قائلا :

— قد نعيش فى الحياة نكرات لا أهمية لها، ولكنا جميعاً نحب أن نشعر قبل انقضاء تلك الحياة أن موتنا سيحدث أثراً ما ولو كان طفيفاً ...

فكان جواب المخبر صوتاً آخر شبيهاً بالأول هو:

— وبعد ؟ ! ...

قال مريوذربوك فى لهجة الجد والصراحة الصارمة :

— عند ما تحل الساعة الثانية سأطلق النار على نفسى

فبدت على المخبر دلائل خيبة الأمل إذ كان عمله فى الجريدة قاصراً على الأخبار السياسية ، ولكنه قال موجهاً السؤال إلى محدثه الغريب الأطوار :

— وهل أنت من أصحاب الأسماء المعروفة ؟

— لا ...

ولم يزد على ذلك حرفاً لأنه كان يعلم أن من العبث إضاعة الوقت في ذكر اسمه واسم الأسرة التى ينتسب إليها ؛ وسواء قال إنه يدعى مريوذروأنه من أسرة بوك إحدى أسر ولاية جورجيا أو لم يقله فالنتيجة واحدة ، وهو أنه نكرة ابن نكرة ومجهول من أسرة مجهولين

قال المخبر فى لهجة تنم عن اللوم والتوبيخ :

— أظن أنك قلت قبل الآن إنك ستقص على مسامعى قصة ذات أهمية ؟ فهل عزمك على قتل نفسك هو تلك القصة النادرة ؟

— أجل .. ألست على الأقل أحد أبناء البشر ؟

— أبناء البشر ؟ يالك من معتوه .. أيتساوى أبناء البشر في كل الأمور ؟ إن فيهم من هو أرخص وأتفه مما تظن يا عزيزى

وما كاد يصل إلى هذا الحد من حديثه حتى أبدى حركة دلت على رغبته فى الانتهاء من ذلك الحديث الذى لا يقدم ولا يؤخر وهمّ بالانصراف

غير أن مريوذ ربوك اعترض طريقه وصاح به قائلا :

— يالك من كافر جاحد ... أتكفر بالحياة يا هذا وبقدسية الروح ؟ ... ولكن لا ... ليس لى أن أنتظر منك غير هذا . أفلست صخراً من صخور نيويورك التى خلقت على صورة البشر وألبست ملابس الرجال ...؟ ذلك رأيى فيك فهل

سمعته ... وهل علمته ؟ وأظن أنني سأبدأ بقتلك أنت قبل قتلي نفسي

— لا ، لا ياعزيزي ... ليست لي رغبة الآن في الموت، ولن أسمح بحدوث ذلك قط، فإن لدي صفقة من أحسن الصفقات

ووضع مريوذر بوك يده في جيب معطفه الأيمن وقبض على المسدس الصغير بين أصابعه وهم باطلاقه ولكنه عدل عن رأيه في اللحظة الأخيرة لا خوفاً من المصير أو رهبة من الموقف ... ولكن لأن فكرة عامضة طارئة مرت بذهنه المكدود لا يدرك لها كنهاً ... وأخرج يده فارغة من غير سوء ...

وبذلك ابتعد الخبر عن القبر المحفور الذي كاد يتردى فيه ...

واستأنف مريوذر حديثه قائلا :

— أنا جائع ...

فلمعت عينا الخبر قليلا وقال :

— لقد ذكرتني .. ياعزيزي .. لقد ذكرتني .. أنا الآخر أشعر بالجوع

ثم عبر الشارع متجها نحو مطعم قريب مسرعان ما اختفى وراء بابه الدائر

لم يتكلم مريوذر حينئذ ولم يبد حراكا، غير أن صوتا من أعماق نفسه كان يتكلم ويتكلم ...

— يالهذا الانسان المتحجر القلب والعاطفة .. ! يا لهؤلاء الناس أبناء هذه المدينة الملعونة !

ومكث في صمته قليلا يستمع إلى ذلك الهاتف في أعماق نفسه، ثم تكلم أخيراً في صوت منخفض ولكنه عميق ، إن دل على شيء فعلى الاصرار والعزم الأكيد قال :

— نيويورك .. إنك الآن في قفص الاتهام .. إنك الآن على كفة الميزان، إنني أمهلك ساعة واحدة: فان دعيت إلى الفداء في خلال هذه الساعة نجوت من التجربة الهائلة التي قدرت لك ، وإن لم أدع فالويل لك. سأقتل نفسي ... نعم . ولكني قبل أن أفعل ذلك سأبدأ أولا بقتل أكبر عدد ممكن من أبنائك : أبنائك الناجحين الموفقين الذين تحتضنيهم وتحدبين عليهم . أكبر عدد ممكن .. أكبر عدد أستطيع أن أصل إليه برصاصاتي التسع ... نيويورك ! لقد انتهى كل شيء .. نيويورك ، أنت الآن على وشك مشاهدة مذبحة مروعة من مذابح التاريخ

كانت فكرة عابرة ، ولكنها أطربته وراقته ؛ ولا عجب فقد جبل محباً لألاعيب الصدف ومفارقات الحظوظ .

واستسلم للتفكير وأخذ يقلب الأمر على جميع وجوهه :

— قد يحدث الآن أن يخرج رجل ناجح أو امرأة ناجحة من بين ألوف الناجحين والناجحات في المدينة فيكون على يديه أو على يديها إنقاذ الموقف ، وبالتالي إنقاذ تسعة آخرين من موت محقق — إذ أنه سيحتفظ بالرصاصة العاشرة لنفسه — وقد لا يحدث هذا فتكون النتيجة وبالاً

وهنا استولت عليه نزعة من نزعات الكبر والغرور، وسرت في جسده رعدة كرعدة المحموم .. أليس هو الآن قادراً على سفك الدماء ! ...

وقهقه ضاحكا من تفاهة قيمة الحياة ... حياة الانسان

وكانت هناك امرأة تسير مخترقة الطريق على مقربة منه في تلك اللحظة فلم تكد رنة ضحكته تصل

إلى أذنيها حتى التفتت إلى الوراء لترى مصدر تلك الضحكة الساخرة وبذلك تلاقت عيونهما ...

كان مريوذر بوك حسن المنظر وكذلك كانت المرأة ، ولكنها كانت إلى جانب حسن منظرها من النساء اللاتى تكفى نظرة واحدة من الرجل إليهن لمعرفة حقيقتهن ! ...

تقدم مريوذر بوك نحو المرأة ووجه إليها الحديث قائلا :

— أرجو المعذرة يا آنسة ، ولكن ألا توافقين على تناول الغداء معى ... أ ... أ أعنى على أن نتناول الغداء معاً

فضحكت ضحكة رنانة وقالت :

— تعجبنى جرأتك

والواقع أن جرأته كانت تعجبها . واقتربت منه حتى كاد جسدها يلتصق بجسده وقالت :

— وأى مكان تختار ؟

— المكان الذى يروقك أنت .. ذلك متروك لتقديرك ، لأنى معتمد عليك فى دفع ثمن ما سنأكل

فضحكت ظناً منها أن حديثه هذا نوع من أنواع المزاح المبتكر ، ولكنها عندما نظرت إلى وجهه أيقنت أنه يعنى ما يقول

قالت :

— تعجبنى جرأتك

وفى الحقيقة لم تكن جرأته موضعاً لاعجابها فى تلك اللحظة كما كانت منذ دقيقة واحدة ، وسبحان مغير الأحوال !

واستأنف مريوذر بوك حديثه قائلا :

— قد تبدو ملابسى فى حالة حسنة إلى هذه اللحظة ، ولكن لاتغرنك الظاهر ، فأنا لا أعدو أن أكون رجلا خائباً ، محطماً وفوق ذلك فإنى جائع ؛ بل لاتكفى كلمة الجوع للتعبير عما أشعر به من حاجة إلى الطعام . لم أتبلغ بلقمة واحدة منذ يومين يا آنستى العزيزة . إننى لا أخدعك ولا أكذبك القول ولا أموه عليك ، والله شهيد على ما أقول ؛ وعند ما وقع نظرى على شخصك الكريم توسمت فيك الخير ، وأحسست أن الحديث معك فرصة لاتعوض ؛ والجوع كما أعتقد له حسنة واحدة هى أنه يهب الانسان خبرة نادرة بالوجوه . لذلك قامرت على وجهك

غير أن كل هذا الحديث العذب المنمق لم يبلغ الغاية التى كان المسكين يرمى إليها . فرمقته الفتاة شزراً وقالت فى لهجة الشخص الذى يدفع عن نفسه إهانة لحقت به :

— دع عنك هذا اللغو المبتذل ووفر عليك عناء الرياء والمداهنة ؛ واعلم أننى خدعت فيك حين ظننت أنك رجل شريف ! ...

ثم انطلقت من أمامه مسرعة ؛ وعند ما حاول أن يتبعها توقفت عن المسير والتفتت إليه صائحة به :

— أغرب عن وجهى أيها اللص الذى يعيش على فضلات النساء . أغرب وإلا دعوت رجل الشرطة ليقودك إلى المكان اللائق بأمثالك

وابتعد مريوذر بوك ... ابتعد

* * *

الساعة الآن ثلث واحدة و ... ومعنى ذلك أنه انقضى من المهلة التى حددها ذلك البائس لتنفيذ خطته ثلث ساعة يصبح بعدها فى خبر كان بعد أن يمحو من الوجود عدداً لا يعلمه إلا الله ممن قدر لهم الموت برصاصات مسدسه

سار على غير هدى إلى أن وجد نفسه أخيراً

أمام محطة من المحطات حيث لمح شخصاً يدل مظهره على أنه ذو مركز خطير فى الحياة يخرج من أحد الأبواب . تأمل وجهه بعينيه الزائغتين ليقرأ فيه ما طبعته أخلاقه وميوله ، فدلته وجنتاه المتوردتان على أنه ذو طبع مرح ومزاج منبسط . لا شك أن سنوات طويلة قضاها هذا الرجل فى البر بالناس وإسداء المعروف إليهم هى التى أكسبته هذا الطابع وتلك الطبيعة

اقترب مريوذر بوك من ذلك الرجل العظيم وقال فى ذلة وانكسار :

— لا تؤاخذنى يا سيدي على فضولى وجرأتى ولكنى توسمت فيك الخير واستبشرت بلقائك . ويغلب على ظنى أننى الآن فى حضرة أحد وزرائنا العظام . أليس السيد وزيراً من وزراء الدولة ؟

فأخرج الرجل من جيبه منظاراً ذا سلك ذهبى وقربه من عينيه وهو يقول فى لهجة مرحة :

— نعم إننى وزير ، فما حاجتك يابنى؟

— أنا جائع

— جائع ... ؟ لم يخطر ذلك ببالى قط

— ولكنه الواقع يا سيدي ، فهل تدعونى لتناول الغداء ؟

— إه ...

كان سؤالاً محيراً ، ولكن الرجل تقبله قبولاً حسناً ولم يتبين في حركاته ما يدل على الضيق أو التذمر ، بل صمت لحظة وكأنه يحاول صياغة رد لا يصدم شعور محدثه ؛ وأخيراً قال :

— يا عزيزى الفاضل ... أنت تعلم ... تعلم حقيقة ...

ثم أسند إحدى يديه على كتف مريوذر بوك بشكل ودى يدل على العطف ورقة العاطفة

وانتظر مريوذر تتمة الجملة التى بدأها الوزير بصبر نافد ، ولكن هذا لم يتكلم بل اكتفى بأن ضحك ضحكة قصيرة لعله اعتبرها ذات معنى

قال مريوذر بوك :

— ولكنى أطلب إحساناً ...

فما كاد الوزير يسمع كلمة الاحسان حتى تنفس الصعداء كمن يعثر على ضالة طال بحثه عنها وقال :

— حسن ... إذن فأنت تطلب إحساناً ... هل قصدت ... ولكنى أحب قبل أن أستطرد فى الحديث أن أسألك سؤالاً

— إننى رهين إشارتك يا سيدى

— هل أنت جاد فى حديثك أم هو نوع من أنواع المزاح ؟

— وهل يجوز المزاح فى شأن كهذا ، بل أنا جاد يا سيدى كل الجد

— هل اتصلت بإحدى الجمعيات أو المؤسسات الخيرية المعروفة ؟

— كلا ... وأحسب أن ...

فقاطعه السيد قائلاً :

— يا ... يا ... يا ...

ثم أخرج بطاقة من حافظة نقوده وتناولها بين أصابعه وأخذ يدوّن عليها بضع كلمات وهو يقول :

— سأعطيك بطاقتى الآن وما عليك إلا أن تقدمها إلى (سكرتير) الجمعيات الخيرية المتحدة ... إنها مؤسسة حسنة النظام كما أعتقد. هناك سيتحرون أمرك وأمر سيرك وسلوكك وظروفك وأخلاقك وسوابقك

— كل ذلك لكي يطعموني وجبة واحدة ؟

— بطبيعة الحال

ولما فرغ من الكتابة ناول مريوذر البطاقة وكأنه يناوله مفاتيح الدنيا بأسرها وهم بالانصراف ولكن مريوذربوك قال

— ولكني أريد أن تقوم أنت باطعامي الآن

فابتسم الوزير وهو يقول :

— لقد فعلت ياعزيزي ... إنني مشترك من مشتركي هذه المؤسسة الخيرية وهذه هي طريقتي الوحيدة في الاحسان وهي طريقة مثلى توفر كثيراً من الزمن

— سؤال أخير ياسيدي

— وما هو ؟

— ألا تريد سماع قصتي ؟ ألم تثر فيك حالي ولو قليلا من الاهتمام ؟

فبدا الضيق على وجه الوزير جلياً ولكنه قال مخفيا ما يدور بخاطره

— قصة ... قصة . هناك ياولدي سيستمعون إلى قصتك بآذان واعية . إن عملهم منظم ولديهم ملفات كثيرة كلها قصص وحكايات ، مئات من القصص ... أكوام من ملفات القصص لكل ملف منها رقم خاص وستأخذ قصتك رقما من هذه الأرقام قد يكون المائة بعد الألف

ثم ختم حديثه قائلا في شيء من التحمس :

— أؤكد لك أن طريقتهم من أحسن الطرق . أستودعك الله

كان الرجل يريد إنهاء الأمر كله بهذه الجملة، غير أن مريوذر تشبث بأذياله في إصرار عجيب وهو يقول

— ألم تجد شيئا من الغرابة في أمري ؟ ألا تريد أن تعرف لماذا أنا جائع أليس لديك الوقت الكافي للاستماع إلى بنفسك ؟

— الوقت .. الوقت يابني هو الشيء الوحيد الذي يعوزني والذي أبحث عنه في ظرف كهذا فلا أجده ولكني سأدلك على ما تفعل

ثم أخرج بطاقة ثانية من الحافظة المنتفخة وكتب عليها بضع كلمات أخرى ثم قدمها إلى مريوذر وهو يقول :

— إذا أردت أن تقص عليّ حكايتك فخذ هذه واذهب إلى مكتبي حوالي الساعة الثالثة والنصف . هناك ستجد كاتبتي المختزله فأملي عليها ما تريد وستقوم هي بعد ذلك بكتابته على الآلة الكاتبة وتقديمه إليّ ...

ثم انسحب من أمامه وذهب

* * *

كانت الساعة وقتئذ واحدة وخمسا وعشرين دقيقة ... أي أنه بقيت من ساعات الحياة خمس وثلاثون دقيقة !! ...

استأنف مريوذر بوك تسكعه في شوارع نيويورك متصفحاً وجوه المارة واعترض طريقه أحد المتسولين فلم يتردد في منحه بطاقتي الوزير اللتين تخولان لحاملهما دخول الجنة بغير حساب، ثم اتجه ناحية الشرق ماراً بالشارع الثاني والأربعين .

وإذا كانت حياة الانسان قد انقضت ولم يبق في عمره إلا دقائق معدودات فلماذا لا يقضي هذه الدقائق في الشارع الخامس ... هناك يستطيع أن يمتع النظر بأحسن المشاهد وأعظمها

والواقع أن هذا الشارع كان أنسب مكان لمن كانت غايته كغاية صاحبنا . في ذلك الشارع يستطيع

الانسان أن يلتقى بأعظم الشخصيات وأهمها وماذا يريد هو غير ذلك ؟

وما كاد يقف هنـاك لحظة قصيرة حتى رأى أمامه عجباً . رأى مشهداً لم يكن يخطر له ببال؛ على أن ذلك المشهد لم يكن حادثاً خطيراً أو معركة هائلة كما لم يكن رغيفاً من الخبز معه قطعة من لحم خنزير مشوى ... كلا ... إنما هو رجل

لم يصدق مريوذر عينيه فى بادئ الأمر وقال مخاطباً نفسه

— هذا غير ممكن ... هذا مستحيل ... إنه شخص آخر

وفى هذه اللحظة اقترب الرجل منه فعلم مريوذر أن عينيه لم تـكذباه الخبر

أما الرجل فـكان ج. ديبون إيفانز أكبر رجال المال فى نيويورك ، نعم هو بعينه ، إن مريوذر بوك يعرفه حق المعرفة ويستطيع تمييز وجهه من بين مليون وجه

هاهوذا المستر إيفانز على قيد شبر واحد من فوهة مسدس مريوذر بوك . أليست هذه مفاجأة يطيش لها صواب أكثر الناس ثباتاً وأصلبهم عصباً فضلا عن إنسان محطم لم يذق الطعام منذ يومين ؟ غير أن مريوذر بوك تلقاها صامداً لا يتأثر وكأنه الجبل الأصم

بعد دقائق معدودات يصبح المستر إيفانز صاحب الثروة التى تزرى بكنوز سليمان ومالِ قارون خبراً بعد عين ضحية من ضحايا اللعبة الخطرة التى يمارسها ذلك المغامر المجنون الجائع

أحس مريوذر بوك بقوة غير عادية، وكأن دماً جديداً يجرى فى عروقه الجافة... هاهى ذى مفارقات الطريق تضع تحت رحمته مصير عدد من دور المال الـكبرى فى نيويورك لا يقل عن نصف ما فيها من دور ، وعلى تصرف مستر إيفانز معـه يتوقف ذلك المصير ونوعه ، بل هاهوذا القدر الساخر يضع لقمة وقطعة من اللحم أو قليلا من الحساء فى كفة ميزان ويضع فى كفته الأخرى نصف ثروة أمريكا ولا يعلم إلا الله أيهما تـكون الراجحة ! ...

فى استطاعة سبابة مريوذر بوك الموضوعة فوق زناد المسدس أن تقرر الآن لا مصير رجل واحد ، بل مصير شعب بأسره

قبض على المسدس وصوب فوهته من تحت الثوب إلى قلب المستر إيفانز وتقدم خطوة نحوه وهو يقول فى لهجة تنم عن الأدب :

— كم الساعة الآن يا سيدى ؟

ومضت ثانية قبل أن يجيب الرجل خيل لمريوذر فى أثنائها أنه يرى رأى العين عمارات المصارف تنهار واحدة واحدة، وطرق السكك الحـديدية تتحطم طريقاً طريقاً ، والمصانع تغلق أبوابها والأسواق تتعطل ، والمناجم تتوقف عن الانتاج ، والمحاصيل الزراعية تترك فى الحقول ، والسفن التجارية ترابط فى الموانئ ليل نهار ، والكساد يعم جميع المرافق ، وراية الخراب ترفرف فوق المدينة

أخيراً رفع المستر إيفانز سيجاراً ضخما من فمه وألقى نظرة شـك وارتياب على مريوذر بوك وهم بالانصراف، ولـكنه عاد فعدل عن رأيه وأخرج ساعة فضية كبيرة الحجم ألقى عليها نظرة وقال فى لهجة يشوبها قليل من التذمر :

— الساعة الآن الثانية إلا دقيقتين

ثم عاد وقال فى لهجة أقل تذمراً

— هل أجد معك عود ثقاب أيها الشاب ؟

بعد دقيقة واحدة سيسأل الرجل أن يطعمه فان لم يقبل قتله دون تردد ، ولكن لا بأس من إعطائه عوداً من الثقاب قبل ذلك

أخذ يبحث فى جيوبه وهو فى أثناء ذلك يتوقى الوضع المناسب لاصابة محدثه فى مصرع ، وفكر في رغبة الرجل الذي سيصبح فى عالم الأموات بعد ثوان فى التدخين فأضحكته المفارقة فأخذ فى القهقهة ثم قدم بعض أعواد الثقاب إلى الفريسة

غير أن مستر إيفانز ما كاد ينظر إلى الأعواد حتى صاح قائلا :

— وماذا أصنع بهذه الأعواد يا ولدي وهى كما ترى من النوع الذي لا يشتعل إلا إذا حك فى علبته الخاصة ... أين العلبة إذن ؟

قال هذا القول وقد ثبت فى ذهنه تمام الثبوت أنه إنما يخاطب إنساناً به مس من الجنون

فضحك مريوذر بوك ضحكة هستيرية حادة وأجاب قائلا :

— هذه فكرة علمية عظيمة ... هذا سر صناعى خطير

ثم استأنف الضحك والقهقهة ولم يكن يضحكه إلا ذلك الميت الذى يلح فى طلب التدخين ... !

وفكر المستر إيفانز قليلا ثم قال :

— سر صناعى ... أى سر ياسيدى ؟

فأجابه مريوذر وقد استولت عليه نوبة من نوبات الجنون :

— إنه سر عظيم ... إنها فكرة رائعة يمكن استخدامها فى إيجاد مدمر عظيم يغنينا عن استعمال السفن الحربية والمدرعات الحالية التى تستعمل فى الحروب وفى المناجم ... و ...

فقاطعه المستر إيفانز قائلاً :

— كل هذا ... ؟ إذن فأنت مخترع

فكذب مريوذر لأول مرة إذ قال :

— نعم ياسيدى ... لقد اخترعت مدمراً أقوى من الديناميت ويمكن استخدامه بغير الحاجة إلى النار خلافا للمعتاد عند استعمال البارود . مدمر لا صوت له ولا يتجمد بعد استعماله ، طريقة واحدة يمكن استخدامه بها وهى تقريبه من مادة كيمائية أخرى كما هى الحال فى أعواد الثقاب التى تشتعل بحكها بعلبتها

— لله درك يافتى .. إن ثروة عظيمة تنتظر اختراعك هذا. أليس فى السوق اختراع يماثله؟

— لا ياسيدى

وفى هذه اللحظة أخذ فى إحكام تصويب مسدسه من وراء الثوب ثم استطرد قائلا :

— ولكنى لا أملك المال الكافى لتحقيق آمالي باخراج اختراعى إلى عالم الوجود

فابتسم الآخر وقال :

— حسن، سأدلك على ما يجب عمله فى مثل هذه الأحوال أيها الشاب النابغة . أظن أنك لا تمانع فى مرافقتى لتناول طعام الغداء معا .. تعال ياعزيزى، سوف نتناول موضوعك بالدرس أثناء تناول الطعام وسنبحثه من كل النواحى ... المال وغير المال ...

وفى هذه اللحظة دوت فى الجو أصوات ساعات بنايات نيويورك العظيمة مؤذنة بحلول الساعة الثانية ...

(السويس) محمد محمود دراية